

بحار الأنوار

[279] كان ظلوما " حيث لم يف بها ولم يراع حقها " جهولا " بكنه عاقبتها ، وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب (1) (انتهى). وقال الطبرسي - قدس سره - : إنه على وجه التقدير أجرى (2) عليه لفظ الواقع ، لان الواقع أبلغ من المقدر ، معناه : لو كانت السماوات والارض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الامانة وهي وطائف الدين اصولا وفروعا عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ، ولامتنعت من حملها خوفا من القصور عن أداء حقها ، ثم حملها الانسان مع ضعف جسمه ، ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله ، وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس أنها عرضت على نفس السماوات والارض فامتنعت من حملها . والرابع أن معنى العرض والاباء ليس هو على ما يفهم بظاهر الكلام ، بل المراد تعظيم شأن الامانة ، لا مخاطبة الجماد ، والعرب تقول " سألت الربيع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب " وإنما هو إخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب والسؤال ، وتقول " أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال " وقال سبحانه " فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين " وخطاب من لا يفهم لا يصح . فالامانة على هذا ما أودع الله سبحانه السماوات والارض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فأظهرتها والانسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه (3) . ويرجع إليه ما قيل : المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية ، وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره ، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ، ومنه قولهم " حامل الامانة ومحتملها " لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته ، فيكون الاباء عنه إتيانا بما يمكن أن يتأتى منه ، والظلم والجهالة للخيانة والتقصير . والخامس ما قيل : إنه تعالى لما خلق هذه الاجرام فيها فهما (4) وقال لها : _____ (1) انوار التنزيل: ج 2، ص 281 - 282. (2) في المصدر: الا انه اجرى.. (3) مجمع البيان: ج 8، ص 374. (4) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا والظاهر " جعل فيها فهما " .